

مخطوطان عربيان من اسفار العهد العتيق

نقرا كتابي للاب لويس شيخو اليسوعي

وصفنا سابقاً في الشرق (٧ [١٩٠٤] : ٣٣-٣٧) نسخة قديمة من التوراة مصونة في مكتبتنا الشرقية . ومما وقفنا عليه بعد ذلك نسخة جميلة ارشدة اليها احد اصدقائنا في الاسكندرية المرحوم شكري افندي باحوط وكانت هناك مبرومة للبيع ولم نعلم ما حل بها . وانما حصلنا على رسوم فوتوغرافية من صفحاتها الاولى نرى منها مثلاً يستدل به القارى على نفاستها . وهذه النسخة كما يظهر كتابها احد نصارى مصر بحرف جلي مشرق من الخط اللخمي البديع والشكل الكامل الحسن الخط ولا تخلو العربية من منحة طيبة بليغة وذلك في التلخيص العربي تسع عشر ربيع الآخر من السنة ٧٥٦ الموافق للربيع والمشرق من نيسان ١٣٥٥ م . ودونك الفصل الاول من نصها مع رسم صفحة منها بالتصوير الشسي :

اول ما خلق الله السموات والارض وكانت الارض غامرة مستبحرة غلام على وجه النسر ورياح الله عصف على وجه الماء . فقال الله : ليكن نور فكان نور فعلم الله ان النور جيد وفصل الله بين النور وبين الظلام وسمى الله النور نهاراً والظلام ليلاً . وكان ماء . وكان صباح يوماً واحداً فقال الله : ليكن بساتين في وسط الماء ويكون فاصلاً ماء عن ماء . فصنع الله البساتين وفصل بين الماء الذي من تحت البساتين والماء الذي من فوق البساتين . فكان ذلك وسمى الله البساتين ماء . وكان ماء . وكان صباح يوماً ثانياً . فقال الله لتجتمع المياه من تحت السماء الى موضع واحد ويظهر اليابس ارضاً ومجتمع المياه سمي بحاراً . وعلم الله ان ذلك جيد . وقال الله : لتكمل الارض كلها عشباً ذات حبة لاصناف وشجر مخرج ثمرها ثمره لاصناف وعلم الله ان ذلك جيد . فكان ساء . وكان صباح يوماً ثالثاً وقال الله : لتكن انوار في بساتين السماء تحرق بين النهار وبين الليل وتكون آيات واوقات واناماً وسنين وتكون انواراً في بساتين السماء لتضيء من الارض فكان كذلك ومنع الله العيون الطبيعية البصر الاكبر لتسلط على النهار والليل الامر لتسلط في الليل والكواكب وجعلها في بساتين السماء للاضاءة على الارض . . .

فن قابل بين هذه الاسطر والترجمة التي نشرها فالتون (Valton) في البوليغلو

اي التوراة المديدة اللغات المطبوعة في لندن سنة ١٩٥٦ تحقق ان نسختنا هذه تشبهها
شبهاً عظيماً الا في بعض الدقائق . ومن العلوم ان النسخة المطبوعة هي لتدوين الحارون
اليهودي من كتبة القرن الثاني عشر على ان النسخة التي وقعت اليها أضبط وأصح



وفي اواسط ايلول من السنة ١٩٥٨ مرة في مصر وبواسطة احد الاصدقاء
امكناً ان ندخل الى مكتبة الاقباط غير الكاثوليك فوجدنا هناك بين المخطوطات
العربية نسخة قديمة من التوراة تاريخها سنة ١٥١٦ للشهداء . و ٧٣٢ للهجرة الموافقين
السنة ١٣٣٢ لليلاد فوجدناها ذات شأن ونسختنا بعض الاسطر منها الا ان قصر
الوقت لم يسمح لنا بالتسعين فيها وددس خواصها ووددنا لو تسع لنا فرصة اخرى
لنصها نصاً مدققاً . وما قد قرب الله اليها مرغوبنا على غير انتظار

فان جناب الاديب الفاضل احمد باشا تيسور تفضل وارسل لنا مؤخرًا نسخة
قديمة من اسفار موسى دخلت في مكتبة المارة ليدي فيها رأينا . فاقمت عليها
عينا حتى تحققت انها هي هي النسخة التي وجدناها في مكتبة الاقباط فيكون جنابة
اقتضاها منهم بالمال فاعلمني بها خزانه كتيبه . وعلى كل حال نشكر بدها لجنابه من ظله
بنا وزايعه في خدمة العلم . ثم نتخطى الى تعريف هذا الاثر الجليل فنقول :

ان هذه النسخة من التوراة تقيس ٢٧ سنتراً طولا و ١٧ ونصف عرضاً وهي
مجلدة تجليداً حديثاً بمجلد وقاش لسودى وعلى قفا الكتاب خطوط من الذهب مع
اسم الكتاب « التوراة » وتحت الاسم ورقة بيضاء مربعة مستطيلة عليها رقم ١١
من قسم « الديانات » في المكتبة النيسورية . وصنعت الكتاب ٣١٣ بلبها صفحتان
بخطوط مختلفة عليها افادات شتى . وفي كل صفحة ٢٤ سطراً والكتاب مخطوط
بقلم نسخي قديم جلي بحبر اسود الا القصول والعناوين المكتوبة بحبر احمر
والكتاب نصرافياً يسدي ابا فخر بن سليمان (اطلب رسم صفحة منها)

وقد فقد من اول هذه النسخة ورقة لو ورقتان وسقط مثل ذلك بعد الورقة
الرابعة لما آخرها فاكامل . والكتاب ينطش خمسة اسفار . موسى : الاول سفر التكوين
(ص ١-١٠٦) في آخره ما نثقة :

« كمل السفر الأول من التوراة ويقال إن في هذا السفر أربعة آلاف ومائة اثنين (أي آية) والسيح قد دائما أبدا وكان الفراغ منه ثار السبت ثالث عشر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة » (١٥ ك ١٣١) :

والسفر الثاني سفر الخروج (ص ١٠٧-١١٥) في آخره :

« كمل سفر الثاني وهو سفر الخروج والسيح الله دائما أبدا وكل من وقف عليه وقرأه في سفره يسأل أجرة وصديقه (?) يدعوا لكاتبه بالصلح والخبرة » :

والسفر الثالث سفر اللاويين (ص ١٦٦-٢٦٧) وينتهي بما نصه :

« كمل السفر الثالث وهو سفر اللاويين وما ينشر من تفسيره ورأسه ومخلصنا المجدد إلى الأبد أمين في بكورة ثار الميسر الخامس وعشرين من أشهر سنة الفستة وأربعين للشهداء الموافق لثامن عشر شباط (١٣٣٢ م) ، وحفارة العبد الحقير المسكين المتعرف بكثرة ذنوبه وخطايه أبو القصر بن سليمان يسأل أجرة وصديقه كل من كان في سفره وقرأه أو سمعه يذكره وهو الذي تجاسر بنسخه والتطعم إليه بالصلح وتجاوز عن ذلته وعفوانته والرحمة أمام القبر المعول والرب الهه يسلم ولاولاده الحياة الدائمة الأبدية وبورحه كما وعد في انجيله القدس هوذا الواحد ثقتون وشئون (كذا) ومائة وفي الآخر شكوت السماوات التي لا تحول ولا تزول » :

والسفر الرابع سفر العدد (ص ٢٦٨-٣٣٥) في آخره ما حوته :

« كمل السفر الرابع من التوراة وهو عدد بني اسرائيل ورأسه ومخلصنا المسيح والمجدد الآن وكل إنسان إلى دهر الداهرين أمين في حبة ثار الخمسة الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة الهجرية » (١٥ آذار ١٣٣٢) :

السفر الخامس سفر تثنية الاشتراع (ص ٣٣٧-٣٩٣) ينتهي بقوله :

« كملت التوراة الكريمة المباركة بون الله وحسن إرشاده وتوفيقه في حبة ثار الميسر العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة للهجرة الموافق للثالث والعشرين من برمات سنة الفستة وأربعين للشهداء الأبرار والثلاثين عشر من آذار (١٣٣٢ م) ، والعبد الحقير المتعرف بكثرة خطايه وعفوانته الخمسة أبو القصر بن سليمان القم بنسخها يسأل أجرة كل من قرأ فيها يذكره بالرحمة والقرآن العزيب وهو الصوب » :

ويلي هذا الحتام هذمتان بخطوط غليظة غير متقنة هذا الحصى ما فيها :

« المجد لله دائما ، هذا الكتاب المبارك رسمه الحقير مخلص مطران مدينة حمص لئلا لاهد سلطان من الله تعالى أن ينفية عنه ما دام في قيد الحياة وكل من تجاسر على ذلك والحداء » :

يكون تحت الحروف القاطنة من قم السيد المسيح ويكون حقة مع يوحنا (كذا) السيد
اسلم سيده ومن قرأ فيه يدور له بالخبرة وهو الذنوب ويترحم عليه وعلى ولديه وعلى جميع
في المسودة الاثر كسبة فيكون له الجزاء من السيد المسيح في يوم الدين امين . وكتب
الحقير في خدام الكنيسة مرقس مطران حمص المرومية بتاريخ ثار الاربعاء ثامن وعشرين
شعر كانون الثاني سنة ستة الاف وسبعمائة وسبعة وتسعين لتكون العالم (١٨٩٩ م)
وانتقل هذا الكتاب المبارك الى خزنة المتجر في رؤساء الكنيسة الذي لا يمتنع ان
يذكر اسم لكثرة خطابه بمخايل البطريرك الانطاكي من الاب كبير مرقس بطريرك الدي
القدس . . . وذلك بتاريخ الحادي عشر ايلول سنة الارقام غير واضحة . *

وفي صفحة اخرى يقال ان المدعو الياس بن يوسف بن غانم التطيب في مدينة
دمشق قد نظر في الكتاب بتاريخ ثار الاحد المبارك من الصوم الكبير القدام
تسع شهر اشباط سنة ٧٠٥٦ لايتا آدم الواقعة لعاشر شهر محرم الحرام سنة ١٥٥٠
(اعني ١٥١٨ م)

هذه الاسفار قد كتبت لتقرأ فصلها في الكنائس في ايام الصوم الكبير
والاحاد والاعياد السنوية وذلك ما يعرف بصكتاب القراءات او النبوة
(Lectonnaire) . وبين الفصول في وسطها او اخرها تفاسير ادبية وتاريخية
وروحية لا يذكر قائلوها وانما هي مقتطفة غالباً من اعمال الآباء اثباتاً لما بين العهد
العتيق والجديد من الاتفاق وما تحتويه اسفار موسى من النبوات عن عجي الب
المسيح وفضل شريعته على شريعة موسى . ويؤخذ من عناوين الفصول انها مقسمة
على حسب طقس الكنيسة القبطية . فان تاريخ قراءة كثير منها يشيخ الى الشبه
القبطية كبريات وتوت وامشير وهنري الخ وكذلك ارقام الكتاب في رأس الصفحة
هي قبطية كما ان في وسط الكتاب وفي آخره قد ذكر تاريخ الشهداء مع التاريخ
الهجري وهو التاريخ الشائع بين اقباط مصر

بقي علينا تعريف الاصل الذي نزلت عنه هذه الترجمة العربية اهل الاص
البراني او اليوناني او السرياني او القبطي . فقد عارضنا النسخة على ما لدينا
الترجمات القديمة فثبتنا ان ترجمتها منقولة عن الترجمة السبعينية اليونانية التي كانت
شائعة في جهات مصر . والدليل على ان الروايات التي تحف فيها الترجمة اليونانية
الترجمة البرانية موجودة ايضاً في هذه النسخة العربية . مثال ذلك (تكوين ٢٢ :

حيث يقال في الاصل العبراني «فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع» قد جاء في الترجمة السبعينية وفي هذه النسخة العربية «وأكمل الله في اليوم السادس جميع انعمائه واستراح في اليوم السابع» وكذلك (١١: ٢) «هذه مبادئ السموات والارض» كما في العبرانية أما في اليونانية ونسختنا الموصوفة فيقال: «هذا كتاب خلفه السماء والارض» وكذلك في الفصل الخامس حيث ذكر كم عاش كل من الآباء قبل توليدهم ابناهم وبعده فان في الاصل العبراني يُنقص عمرهم مئة سنة قبل التوليد ويضاف مئة سنة بعده فالنسخة اليونانية ومثلها نسختنا تزيد مئة سنة قبل التوليد وتقصها بعده فيقال مثلاً في الاصل العبراني ان آدم عاش ١٣٠ سنة وولد شيث وعاش بعد ان ولده ٨٠٠ سنة فالترجمة السبعينية ومثلها نسختنا هذه العربية تذكر على خلاف ذلك انه عاش مائتين و ٣٠ سنة فولد شيث وعاش بعد ان ولده ٧٠٠ سنة وهلم جرا— وكذلك (١٧: ٧) قد زادت الترجمة السبعينية ذكر «الليلة» في قولها ان مطر الطوفان كان على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة وهكذا النسخة العربية التي نحن في صددنا بخلاف الاصل العبراني الذي ذكر الايام دون الليالي— وكذلك ورد في النص العبراني (١١: ٨) ان الثابت استقر على جبل ارارط في ١٧ من الشهر السابع فالترجمة اليونانية ونسختنا هذه ترجمان انه استقر في ٢٧ من الشهر المذكور— وكذلك جاء في الفصل الحادي عشر (ع ١١) في العبرانية ان ابرفكشاد ولد له شالح اما في اليونانية وفي نسختنا العربية هذه لفته ولد قينان وان قينان ولد شالح وجاء مثل ذلك في انجيل مار لوقا الذي استند الى الترجمة السبعينية (٢٦: ٣) «وفي هذه الامثلة كفاية لصحة قولنا على انه يوجد على هوامش هذه النسخة روايات تشير الى النص العبراني

ولعل سائلاً يسأل أتكون هذه الترجمة العربية منقولة عن اليونانية رأساً او بتوسط الترجمة القبطية التي يشتق العلماء على نقلها من الترجمة السبعينية - ليس الجواب على هذا السؤال سهلاً لأن نسخ الترجمة القبطية المعروفة الى اليوم ناقصة كثيرة الحلل متعددة اللهجات منها باللغة النحوية ومنها بالصعيدية ومنها بالبنية وما لا يُشكر ان في هذه النسخة العربية بعض الدقائق التي لا تُرى في السبعينية كقوله مثلاً عن قيسون عند ذكره انهار فردوس عدن (١١: ٣) وهو يحيط ارض اريسلط وهي اقصى

بلاد الهند * فقوله * هي اقصى بلاد الهند * لا وجود له بالترجمة السبعينية . وكذلك في رواية هذه النسخة العربية لاسماء الاعلام اختلاف مع الاصلين العبراني واليوناني فضلا عن كون كثير منها مهملًا تصعب قراءته . فان ذلك ذكره ليبي نوح ونسلم (تسكوين ١٠: ١-٣٢) فقال عن بني يافث انهم * حمرا سكير وماعوت ومادا وسار وبوبل وماسيح وتاييس * وبني حمرا بعد وبوما وبني ماوتن التسا وتربيس وكاسم وذوونيم * فهذه الاسماء مصحفة مختلفة قليلة الوضوح لو تقطعت عُرف بعضها كما في ترجمتنا العربية حمرا (بومرا) ماعوت (ماجرج) سكير (لو اسكير) (الشكنازا) مادا (اماداي) سار (يلوان) بوبل (توبل) ماسح (اماشك) تاييس (تيريس) وعلم جزأ . فنز المحلل ان هذه الاسماء منقولة عن نسخة قبطية بلانقها القبطي . ومثالا في التمثيل (١: ٣٩) اسم فوطيفار فانه مردي في هذه النسخة * هاديوا * ولعله اقرب من القبطية والله اعلم

واقاماً للفائدة زوي هنا بعض مقاطيع من هذه النسخة ليطلع القراء على خواصها فهذا قسم من الفصل الثاني من سفر التسكوين :

« هذا كتاب خلق السماء والارض . كل من خلق المخل في شكل انثى على وجه الارض وما شب المخل قبل ان يصعد لان الله لم يكن انثى مطراً على وجه الارض ولم يكن انسا يسلم فيها وكانت بين محمد من الارض وشقي كل وجه الارض وخلق الله الانسان من ترا اعلم من الارض والخلق في وجهه نسبة الحياة فصار الانسان جسداً حياً ونسب الله الفرد في عدن مقالي الشرق وجعل فيه الانسان الذي خلقه . وابتدأ الله ابناً من الارض كل شجر حية في التنظر وطية العظم وشجرة الحياة في وسط الفردوس وشجرة علم الخير والتنظر في نهر اخرج من عدن يسقي الفردوس ثم ينقسم من ثم على الريح ارض اسم احدهم يسون و يبيت ارض اولاد وهي اقصى بلاد الهند وهناك يوجد الياقوت الاحمر والحجر الاخضر . »

وهذه نبذة من نبوة يعقوب في ولدو يهوذا (تسكوين ٢٩: ٨-١٢) :

« يهوذا لك تسبيح يا عورتك هناك على رقاب اعدائك . لتك تسجد بنو اسرائيل . قبل ان يهوذا ابني من العصب يا ابني يهوذا ويا تسكيت ولدت اسلي الاسد وشي الثيل من شجرة (١) نزال القليب من يهوذا والسلط من بين فخذه حتى يهي ذلك الذي له ويا ياه تنظر الا يربط اليه الكرمة حشش القمح يسل يا حشر لباسه ويذم العشب ردها . مثاه من اشعرا واساه يضي ستر الليل »

ودونك بعض آيات من نبوة بلعام (سفر العدد ٢٤: ٥-٩ و ١٧-١٩) :

« ما احسن مقلتك يا يعقوب . ومسكنك يا اسرائيل مثل الاودية الجارية ومثل الكروم على النهر ومثل المسكن الذي نصبه الله ومثل العرعر الذي على الماء . يخرج رجل من بين يدي وذو يمين يراه ككبر يرتفع من اجاج ملك (ملكه) ويشهد ملك الله الذي اخرجكم من مصر بمرثية وعشوة . يا كل الشعوب الذين هم اعداؤه ويكسر عظامهم (عظامهم) ويذمهم ظهورهم وهو راجع فام مثل الاسد ومثل شبل الليث فمن يستطيع ان يمسك من يديك يكون مباركاً ومن يمسك يكون مشرقاً . . قد رأيتك وليس بأيدي ظلمات اليدي غير بعيد انه يطعم كوكب من يعقوب ويغوم وليس من اسرائيل ويبد جبارة موءاب . . يكون لاسرائيل قوة وجبط من يعقوب وليس فيك من كان يتي في القرية »

وهذا مثال من التفسير التي علقها الكاتب على اسفار موسى الثلاثة الاولى فقط تأخذه من تفسيره لبركة يعقوب لابني يوسف اي منسوبة واقوام قال (ص ١٠٠) :

« لما كان يوسف قاساً للسبح لذلك لما علم يعقوب بقدوم ابه شدة نفسه ومرو في شدة المرض وجلس على السرير واعلم سر الصليب في يركبه على ابني لأكمة صلب يديه وبارك عليهما . كان اليكر على يمينه والامسر على شالوه فجعل يمينه على الامسر وشالوه على رأس الأكبر . اوضح ان شريعة الانجيل التي هي الثانية افضل واعظم من شريعة التوراة التي هي الاولى . وحين اراد يوسف ان يبارك ابوه على والديه جعلهما سجداً له لكي يعلنا اقتنا مكفلاً يجب ان تضع وتجد لأبائنا ومطيينا نفس من البركة . ولما بارك يعقوب على ولدي يوسف باركهما باسم الابن المتجسد لانه دعاه الله وملكاً في مريم »

وهذا تفسيره على ما اقره الله من المن على شعبه وما قرضه عليهم من شروط جميعاً كل يوم (ص ١١٢) :

« كتاب الله ما هنا يتم التوبة ان يكونوا قنوعين غير مستكبرين وغير شرهين وغير جامعين على ما يريد من كفاتهم بل بالقناعة يعملون لهم كفاتهم فقط في يومهم ذلك ولا يصلوا هم عن يوم آخر بل يبقوا بسامع الله جسم في يومه مثله . وامرني اسرائيل ان يمسوا كفاتهم ليوم واحد فالتين مسوا وجعوا رائحة ذاة وتقولم يبقوا به . علنا جطلسين الذي يسمي ويقتني ما لم ياراه جنتيه لا يبلغ فيه الفرض بل بناله التلاف والفساد والذي يطبع ويحصل كفاة فقط قاله يبارك له ليع وان كان غنياً جداً ويصط الله كلف (كافياً) ملابته »

فن هذه الامثلة ترى ما لهذه النسخة من عظم الشأن لدرس الاسفار القدسة والوقوف على الفروق بينا وبين القراجم الاصلية فتسلي ان يجرها احد علماء النصارى في مصر بالطبع والله السامع الجيب